اغنية الكرمة

« اكياس النور دموعي تملأها ودمي .. »
ويقص المنجل عنقودا ما في نهم
وترف الكرمة رفرفة الثكلى ، ويدٌ
سوداء تمسك منجلها اللماع وترتعد
يد فلاح قد لونها العملُ
والشمس ، وريح البصرة ، والوحل .
وتطير فراشات امنت في الدالية
وتحوم نحلات قلقات حول الساقية
وتساقط اوراق ذبلت فوق الترب
كجناح نفّض ريشا من ذهب .
« اكياس النور دموعي تملأها ودمي »
والطفل يسير على رجع النغم
ويلوّح في غصن مصفر مكسور
وبناظره ايماضة بلور
والشعر كواد محترق العشب
يطأ الاحجار برجل اقذر من درب
في حي عمالي .
ويلون رغيفا جف جفاف الصلصال
« اكياس النور دموعي تملأها ودمي »
والعاملة الحسناء المبسم في سأم
تجتاز ــ واقفاص العنب ــ
ربوات السعف واكوام القصب
وخطاها الخضر وعيناها
وضفائرها السوداء هويناها
وملايتها القطنية والحجل
والصوت الاعرابي يردده النخل
ذكرى يعتز بها الصيف
والمالك والفلاح وغصن الكرمة والضيف
وستترك اشباحا ملء الحقل
في ظل النخلة ، في جرف الانهار ، وفي كل
شيء . وسينعشها رجع النغم
« اكياس النور دموعي تملأها ودمي »
وتزود اقفاص بالاعشاب
وتعبأ بالاعناب
وستأتيها العربات مع الشفق
وتخلف شيئا من ورق
وسيكمل فلاح الكرمة اغنية الالم
« اكياس النور دموعي تملأها ودمي »
بيديّ جرحت الارض جراح المنتقم
وزرعت الكرم الى مليون فم
للتاجر ، للملاح ، وللمحكوم ، وللحكم
ولطفلي وامرأتي وفمي
وسهرت بحالكة الظلم
أحميه من الغربان ، من الاشرار ، من السقم
حتى امتلأت اكياس النور بدمعي او بدمي .

العراق ــ البصرة — **عبد الجبار داود البصري**

والحاكم طباريوس غراكوس Tiberis Gracchus حاكم روما ، كلاهما سلكا السبيل الثاني ، فساهما في رضوخ كل من اسبرطة وروما امام تحديات الاخرين ، وذلك بان تجاهلا النزعة المستقبلية في الروح الانساني ، وطفقا يحلمان بالعصر الذهبي الغابر . وهكذا نجد ، احيانا ان الروح الفردي ــ في الحضارة ــ يعيبه الانحلال والتفسخ ، ويعزل عن المجتمع .

وليست النزعة المستقبلية ، عند توينبي ، هي نزعة دنكشوتية مسلية باطلة ، تأخذ شكل غزوات فكرية او مادية غير ذات اهداف ، بل هي نزعة قيصرية تمضي لهدفها بدأب وتصميم . ويرى توينبي أن « كاتو » هو دنكشوت روما الاخرق ، اما يوليوس فهو قيصر روما بحق .

وهكذا نجد ان في ضوء هذه النظرية ، يبدو لنا ان كل حدث في التاريخ له اهميته ودوره في التطور الحضاري ، حتى نسيج «بنلوب» الذي تحوكه ، ثم تنقضه يوما بعديوم، لم يكن مصادفة واعتباطا .. فهو يقول مع « غوته » :

« في تيارات الحياة ، وفي اعاصير الحركة ،
في معمعان العمل ، في النار ، وفي الزوبعة ،
في الاعلى ، وفي الدون ،
أروح واغدو ،
ميلاد ، ثم قبر ،
واقيانوس بلا حدود ،
حيث الموجة التي لا تستقر ،
ابدا تتماوج ،
في الاعلى ، وفي الدون ،
كفاحها الفوار ،
يعلو ويحوك ،
تحولات الحياة ،
وعلى النول الصخاب للزمن ،
اظل احوك برقع الرب الحي »

يقول « توينبي » ان ما قاله « غوته » في قصيدته هذه، هو اصدق ما قيل في الزمن والتاريخ ، وان نظريته ، قد تكون بناء اقيم على هذا الاساس .

وعلى اية حال ، فهيهات ان يقول انسان الكلمة الاخيرة في الحياة . وان توينبي ، اول من يقر بعجز الانسان حيال القوانين الغامضة التي تحوكه ثم تبيده . فالانسان بتاريخه الطويل ، يجري الى قدر غير معلوم ، بيد ان الرجل ، قد استطاع ــ على الاقل ــ انيقف على شفير جرف التاريخ ، وان يلقى بنظره في الاعماق ، حيث الظلمات ليس لها قرار ... انه يقول : ان ما ذهبت اليه ، هو محض تساؤل لا غير!

بغداد — **محيي الدين اسماعيل**